

ظلي الذي رحل

وقفت حائراً لم يصدّق الخبر الذي سمعته ووصل إليه كنت نائماً في ضحى اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ليتصل بي أحد الأقارب أنه ابن الخالة ؛ ليقول هل أنت في البيت وهو ليس من عادته أن يتصل في مثل هذا الوقت ، قال : أنا لدى الباب أنزل من فضلك.

أخذتني الريبة وداخلني شعور بأنه هناك أمر (ما) مهم وطارئ قد حدث ، وما إن فتحت الباب ورأيت عيناه قد أغرورقت بالدموع حتى قلت له مباشرة لقد مات أبوأحمد أليس كذلك ، فتعانقنا وبكىنا طويلاً .

هذا الصديق العزيز المخلص (زهير علي محمد علي - أبو أحمد) الذي قضيت معه أكثر من عشرين عاماً من حياتي والتي كانت خلاصة عمري الثقافي والأدبي فمن خلال العلاقة معه كانت انطلاقتي الحقيقية إلى عالم القراءة والكتابة والتأليف والسفرات الثقافية إلى معرض الكتاب والمكتبات وجلب الكتب وشراءها من مدن ومناطق ودول شتى (الدمام - القطيف - سيهات - الرياض - جدة - البحرين - الشارقة - دبي - الكويت ...) هذا بخلاف مدن وقرى الاحساء الحبيبة هذا الصديق الذي كان مصداقاً للصديق الوفي والذي يستحق وينطبق عليه قول الشاعر :-

عاشر أناساً بالذكاء تميزوا ... واختر صديقك من ذوي الأخلاق(1)

فكان رحم الله نعم الصديق الصابر الصبور المكافح المؤمن المثقف.

فكم صадفنا من الصعاب في لقاءاتنا في حلنا وترحالنا فرأيت صابراً جلداء لا يتأفف كثيراً فلو على سبيل المثال حصل صعوبات في فسح الكتب التي نجلبها من خارج المملكة ربما أملّسُ أحياناً وأقول له اتركها فلا يقبل ويواصل المراجعة للإعلام والجمارك إلى أن يسترجعها أو أغلبها في كثير من الأحيان.

وهذا عين الكفاح في سبيل الوصول إلى المبتغى وعدم اليأس والاستسلام، وكما كان صبوراً كان كنوماً لا يفصح بقضاياه الخاصة والأسرية مهما صعبت ويحاول أن يحلها ويتداركها مع الطرف الآخر دون أن يكلف الآخرين أو يزعجهم على حد وصفه كما قال ذلك بنفسه (رحمه الله).

ولو أردت أن استعرض صفات هذا الرجل فلا يفوتني أن أعدّ صفة الإيمان والحرص على أداء الواجبات التي كلفه ربه سبحانه بها فسواء كنّا في الاحساء أو غيرها كان حريصاً على أداء الصلاة في المسجد فكم من مسجد عرفته بسببه وكذلك لو حدث واجتمعنا في يوم فيه مناسبة لأهل البيت (عليهم السلام) فكان يتوجه لحضور تلك المناسبة في الحسينيات سواء في شهر محرم أو غيره ولا أنسى حضورنا في مأتم سنابس في مملكة البحرين وحسينية الناصر في سيهات وحسينية السنان في القطيف .. وغيرها

ونقف عند المحطة الأخيرة من صفاته فقد قلنا أنه كان مثقفاً وهو ليس مثقفاً عادياً فحسب بل هو مثقفاً من الطراز الأول وهذا ما صنع منه رجلاً مثابراً محباً للكتاب فلا يسمع بكتاب جديد صدر إلا ويحاول اقتناؤه من أي جهة أو أي مكتبة أو أي مكان وهذا ما جعل مكتبته الخاصة تضم زهاء أكثر من خمسة عشر ألف كتاب.

وهو ليس بالقارئ فحسب بل نهم في قراءته وعلاوة على ذلك هو كاتب أيضاً فقد بدء يكتب في الصحف المحلية والخليجية في حدود عام 1424هـ، وقد كتب في صحيفة الوطن واليوم كما كتب في مجلة العربي الكويتية وغيرها.

ثم اتجه إلى التأليف وأول كتاب صدر له مجموعة قصصية بعنوان (رسائل خاوية وقصص أخرى) بمشاركة إحدى قريناته وكان ذلك عام 1436هـ ، عن دار الرافدين ببلدان ، ثم ألحقه بكتابه (اعتدال السيرة والمسيرة) في العام نفسه وطباعة وتوزيع نفس الدار المذكورة وهو يتحدث عن سيرة ومسيرة الأديبة الشاعرة اعتدال الذكر □.

وفي العام 1439هـ ، أصدر كتابه الأخير (آية □ المجدد الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي ، جولة في الفكر وترانيم الوداع) والذي يعد الإصدار الأول لمركز آية □ الفضلي للدراسات والبحوث.

وهكذا جمعتني العلاقة الطيبة بهذا الرجل المؤمن المثقف أكثر من عشرين عاماً كما أسلفت ، يجمعنا الود والمحبة إلى أن لبي نداء ربه في يوم السبت السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك لعام 1442هـ الموافق لثامن من شهر مايو لعام 2021م ، ودفن في مقابر حي الفاضلية بمدينة الهفوف في يوم الأحد ، فرحمه □ رحم الأبرار وحشره مع من والى وهم محمد وآله الأطهار وجمع بيننا وبينه في مستقر رحمته وفسيح جناته وإنا □ وإنا إليه راجعون.

